صدام حسين

المرونة في العمل الثوري اسلوب للتقدم أم طريق للتراجع ؟!

صـدام حسـين

المرونة في العمل الثوري اسلوب للتقدم أم طريق للتراجع ؟!

الطبعة الثانية

كانون الثاني/ ١٩٨٠

عندما وقع الانقلاب العسكري في بنغلاديش في ١٥/٨ عام ١٩٧٥ ، أثار هذا الحدث اهتماما واسعا في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي ، وفي صفوف الجماهير والاوساط الوطنية في القطر العراقي ، كما كان حدثا أهتمت به ، على نطاق واسع ، الاوساط العربية والدولية على اختلاف اتجاهاتها ، وفي ذلك الوقت كانت الهند أيضا تعاني من مشكلات وأزمات حادة ، وكانت السيدة انديرا غاندي رئيسة

وزراء الهند ، آنذاك ، قد اتخذت سلسلة من الاجراءات الاستثنائية التي أثارت اهتماما وجدالا واسعين في الهند وخارجها .

حول احداث بنغلاديش والهند جرت ندوة حضرها الرفاق العاملون في ميـــدان الثقــافة والاعلام في الحزب ، وعدد من الرفاق من الكادر المتقدم في ١٩٧٥/٨/٢١ ، وفي تلــك الندوة تحدث الرفيق صدام حسين عن تلك الاحداث ، وعن مجموعة من القضايا المستخلصة منهـــا ، في مقدمتها مسألة المرونة في العمل الثـــوري ، والانسجام بين طبيعة أي نظام ، وبين اجراءاته الاستثنائية لمواجهة الازمات والمخاطر .

قال الرفيق صدام حسين :

ليست لدينا حتى الآن معلومات تفصيلية ، ومن الداخل ، عن الذي جرى في بنغلاديش ، وكيف

جرى ، ولكن كان لنا ، منذ أكثر من سنة ، استنتاجات محددة حول الاحتمالات في منطقة المحيط الهندي ، ذكرناها عند لقائنا مع السيد مجيب الرحمن(١) ، وفي لقاءاتنا مع السيدة أنديرا غاندي(٢) ، سواء في الهند أو في بغداد ، كما تحدثنا فيها عند لقاءاتنا مع القادة السوفييت أيضا . وفي هذا الشأن ، فأننا كنا نربط دائما بين الاوضاع في المحيط الهندي والاوضاع في الخليج العربي ، ونرى بأن دوافع العاصفة المحتملة التي ستهب على بلدان المحيط الهندي ، ليست بسبب العوامل الستراتيجية التقليدية الخاصة بموقع المحيط الهندي فحسب ، وانما هناك عامل مضاف هو

(١) تم في بغداد بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٦ ..

(٢) تم في الهند بتاريخ ١٩٧٤/٣/٢٧ وفي بغداد بتاريخ ١٩٧٥/١/١٩ .

صلة المحيط الهندي بالخليج العربي ، الذي يزخر بأمكانات بترولية كبيرة ، ويحتل ، اليوم ، موقعا مهما في السياسة الدولية .

وكنا نقدر دائما بان احتمال الصراع المسلح في منطقة الخليج سيبقى محدودا ، وان كانت العلاقات بين بعض دول الخليج العربي قد دفعت، بفعل قوى خارجية، الى التأزم، والى الحد الذي أوشكت معه أن تأخذ شكلا ساخنا وخطيرا ، والسبب في أنه سيبقى احتمالا محدودا هو ان المنطقة بترولية ، قابلة للاشتعال ، وان الصراع الحامي فيها يمكن ان يؤدي الى تعطيل خط الملاحة كله بين مضيق هرمز ، (حتى شواطيء العراق وايران) .

لذلك كنا نؤكد بأن أميركا ستسعى الى ان « تضبط » الخليج العربي من « مداخله » ، أي من منطقة المحيط الهندي ، لأن اميركا تبقى

قلقة ، اذا بقيت للاتحاد السوفيتي وأساطيله فرص في التواجد في منطقة الخليج ، حتى مع ضمان تواجد مماثل لها فيه .

ففي حالة من هذا النوع ، تفضل اميركا أن تخرج هي والاتحاد السوفيتي معا من داخل الخليج ، بصيغة اساطيل أو قواعد أو تسهيلات بحرية ، في حين تضمن هي بقاء نفوذها في مداخله الرئيسة ، ونفوذها السياسي والعسكري في بعض دول منطقة الخليج .

ان الانقلاب الذي حدث في بنغلاديش يفسر جانبا من الموقف الاميركي ، تجاه انفصال بنغلاديش عن الباكستان .. فأنتم تذكرون ، وليس ذلك ببعيد ، انه لم يكن لأميركا رد فعل قوي ضد هذه العملية ، ولا ضد الحرب الهندية - الباكستانية أصلا .

ان سياسات الدول الكبرى تكون مع توحيد

الدول،عندما يكون هناك احتمال بأن تقع عملية الانفصال أو التفتت في مهاوي الستراتيجيات المضادة لها ، وتكون هذه الدولة الكبرى ، أو تلك مع الانفصال أو التفتت ، عندما يكون محتملا وقوع التكتل كله في اتجاه مضاد لستراتيجيتها ، وعلى هذا الاساس نرى بأن بعض الدول الكبرى تسعى الى توحيد دول الخليج ، وبعض الدول العربية بشكل أو بآخر ، كما نراها في حين آخر تشجع انفصالها وتشرذمها . وهذا ما يجري في مناطق أخرى من العالم أيضا . ولكن كل دولة كبرى تحرص دائما على أن تكون عملية التكتيل ، أو التوحيد بين الدول بصيغة لا تمنع الانفصال او التشرذم ، عندما يكون من المحتمل وقوع الكتلة باجمعها في أحضان ستراتيجية مضادة لستراتيجيتها .

هذا من جانب .. ومن جانب آخر فان

الوضع في باكستان الموحدة ، عند ذاك ، كان قد عكس مجموعة من الحقائق أمام الستراتيجية الامريكية ٠٠ فالوضع في باكستان الشرقية (بنغلاديش) كان سيئا جدا ، بسبب الحملة العسكرية لنظام يحيى خان ضد شعب باكستان الشرقية ٠ وكانت المشاعر القومية قد بلغت درجة عالية باتجاه الانفصال ٠ ان تلك الاوضاع جعلت أميركا تقدر بأن المحافظة على نظام حليف لها ، فيه كل هذه المشاكل يكون أمرا صعبا ، ويجعلها تواجه بسببه مصاعب كثيرة ، وخسائر كبيرة ، كما جعلها تقدر بان الوقوف ضد الانفصال ، بشكل حاد وحاسم ، يضع بنغلاديش في مواقع الستراتيجية المقابلة ، بعد أن صار الانفصال ، للاسباب المذكورة ، أمرا لا مفر منه ٠ لذلك فأن أميركا ، وقد وضعت تلك الحقائق أمامها ، لم تقف بشكل عنيف ضد انفصال بنغلاديش ٠

ولكن نجم عن انفصال بنغلاديش والحرب الهندية ـ الباكستانية نتائج عديدة :

فلقد حسب انفصال بنغلاديش عن باكستان، وانتصار الهند في الحرب الهندية الباكستانية على انه انتصار للسوفييت واندحار للاميركان ، وقد خلق الانفصال ، وخسارة باكستان في الحرب جرحا للباكستان ٠٠ الدولة التي ترتبط مع أميركا بحلف ٠٠ بيد ان تلك النتائج كانت ، في الواقع ، مظهرية وغير عميقة ، لأنها بالاساس كانت نتيجة عوامل ذاتية حاسمة ، ولم يكن دور الاتحاد السوفيتي هو العامل الحاسم فيها ٠

والان ، فأن دور أميركا في الانقلاب على مجيب الرحمن لا يشترط ، بالضرورة ، ان يكون مباشرا ، وبالصيغ التقليدية المعروفة لتدبير الانقلابات ، فعملية الدفع باتجاه الانقلاب لابد ان تكون جرت من روافد متعددة ، كان لاميركا دور مهم فيها ٠

ان هذا الانقلاب حقق امورا عديدة ، فهو قد « داوى » جانبا من جراح باكستان ، لان مجيب الرحمن هو الذي تزعم الانفصال ، وكان الشخصية الامامية ، نيابة عن شعب بنغلاديش ، كما « داوى » الانقلاب الجراح المعنوية التي اصابت الامريكان بسبب اعتبار انفصال بنغلاديش انتصارا سوفيتيا من حيث المظهر ، كما ان للانقلاب نتائجه العملية طبعا ، المرتبطة بسياسة اميركا في هذه المنطقة ٠ اما السوفييت فتقع عليهم ـ بالتأكيد ـ مسؤولية في هذا الموضوع ٠ لقد كان مجيب الرحمن زعيما وطنيا ، لا سوفيتيا ولا امريكيا ، كان يريد بنغلاديش دولة مستقلة غير منحازة ، وقد اكتفى السوفييت ، الى حد كبير ، بالنتائج المظهرية التي حسبت بأنها انتصار لهم ، فلم يقدموا لبنغلاديش دعما متوازنا ، مع ما يجب ان يكون لمواجهة المخطط الاميركي ٠

فتركت بنغلاديش تتخبط بمشاكلها الاقتصادية المستعصية ، والتي كان الناس بسببها يموتون في الشوارع جوعا ٠٠ هذا بالاضافة الى عوامل الضعف وعدم الاستقرار في نظام مجيب الرحمن نفسه ٠

لقد قدم العراق لبنغلاديش في حينه ـ وهو الدولة النامية ـ هبات وقروضاً بما يعادل مائة مليون دولار تقريبا ، دون ان تربطه ببنغلاديش صلة قومية ، ودون ان تكون العوامل الستراتيجية التي تربطه بها بنفس قوة العوامل التي تربط دولا أخرى بها وبمنطقة المحيط الهندي ٠ ولكننا كنا بالتأكيد ، ندرك الترابط بين المحيط الهندى والخليج ، ونسعى ايضا لان نعزل تاثيرات النفوذ المضاد لمصالحنا الوطنية والقومية عن هذه المنطقة ٠ كانت هذه اعتباراتنا الستراتيجية في العلاقة مع

بنغلاديش ، اضافة الى تقييمنا اساسا للنظام ، كنظام وطني غير منحاز .

ويدخل ضمن هذا السياق ايضا ان الاميركان ، وقد طردوا من جنوب شرق اسيا ـ كانوا يريدون مداواة النتائج السلبية والجراح التي عكستها تلك الخسارة على معنوياتهم ومعنويات حلفائهم ، فلا بد ان يداووها بضربات في المناطق الحساسة ، ومنها منطقة المحيط الهندي والخليج ، ومنطقة الشرق الاوسط ، ومناطق اخرى في العالم .

وعلى أي حال ، فان الانقلاب الذي حصل في بنغلاديش ، والاحداث التي تجري في الهند ، اليوم ، لم تكن كلها بفعل عوامل خارجية ، فالعامل الذاتي كان حاسما .. كما ان الاوضاع الذاتية تشكل ، في تقديرنا ، عاملا حاسما ، هي الاخرى ، لما يمكن ان يحصل في شبه القارة الهندية في المستقبل .

ان اساس نظام مجيب الرحمن هو الاساس الليبرالي ·· وفي الآونة الاخيرة اتخذ اجراءات مشددة واتبع نظام الحزب الواحد ، وفي الهند فان طبيعة النظام ليبرالية ايضا ، وقد جاءت السيدة انديرا غاندي الى الحكم بالاساليب البرلمانية ، ولكنها تتخذ اليوم اجراءات مختلفة عن الاسس والمفاهيم الليبرالية ، فما هي الدروس التي نخرج بها من أحداث بنغلاديش هذه ، ومن احداث الهند ، وما يمكن ان يحصل فيها ·

ان الدرس الذي يجب أن نخرج به من احداث شبه القارة الهندية هو : أن المقاتل الذي يحمل بندقية من نوع ، ويتمنطق بحزام ذخيرة من نوع اخر لابد ان يهزم ·· بصرف النظر عن جودة البندقية او جودة الذخيرة بشكل منفصل · لأن البندقية لا « تأكل » الا عتادها ،

كما يقول المثل الريفي عندنا ٠

ان النظام حين تكـون ارضيته الفكريـة والسياسية ، وكل العوامل المرتبطة بها والناجمة عنها ، اقتصاديـا واجتماعيـا وسيكولوجيـا ، مصممة على شكل معين ، فـأن هـذا التصـميم يستلزم صيغة في العلاقة مع الجماهير ، صـيغة في التعامـل مع الـردة ، صـيغة في السياسـة الدولية ٠٠ صيغة في بناء القـوات المسلحة ، منسجمة مع أصل مرتكزات التصميم ٠

فحـين تكـون صـيغة عـدم الانحيـاز في بنغلاديش ، وكذلك صيغة بناء الوطن المستقل عائمة وغائمة ، وليست لها مرتكزاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية في التنظيم الشعبي ، فأن القائد الذي يتورط في القيام بعمل ما قبل أوانه ، ينتهي بالطريقة التي انتهى بها مجيب الرحمن ، لان عتاده لا يتوافق وبندقيته ، وهذه

هي الحالة التي كان عليها ، وهي سبب اساس وحاسم في سقوطه · ان أي نظام يعتمد بالاساس الصيغ الليبرالية في التعامل مع الجماهير ، وفي التعامل مع القوات المسلحة ، وفي التعامل في السياسة الدولية ، وفي بناء اقتصاده ، وفي التعامل مع المنظمات الجماهيرية ، يسقط اذا استعان ــ بشكل فوقي ومفاجيء ــ بصيغ العمل الثوري المستخدمة في الانظمة الثورية ، لمواجهة حالة عصيبة ، أو أزمة ، او اختناق في المجالات الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية ، لانه بذلك يفقد اعوانه دون ان يكسب الاخرين بشكل حازم وجذري · وبعبارة اخرى فأن كل نظام تتكيف اساليبه مع اصوله الفلسفية ، ومن خلال واقعه ، ولعله من الممكن ان يستمر النظام ، لو حافظ على اساليبه النابعة من طبيعته ، لمدة اطول ، مما لو استعار صيغا اخرى في الحالات التي اشرنا اليها ·

وبالنسبة للهند ٠٠ وعلى هذا الاساس فان انديرا غاندى يتوقع لها ان تجابه مشاكل غير اعتيادية ، اعني ان مصيرها تتخلله عاصفة رهيبة ، لانها استعارت صيغا من النوع الذي يستخدم في العمل الثوري ، دون ان تمتلك الارضية الفكرية لمثل هذا العمل ، ودون ان يكون لديها النسيج الخاص من الاجهزة والمنظمات الجماهيرية الذي يتصل بالافكار والمباديء الثورية ٠ والنتائج التي تتصل بعلاقتها مع الجماهير ومع حزبها ٠٠ وعلاقاتها الخارجية ليست من هذا الطراز ايضا ، اى انها لا تمتلك المرتكزات التي تمنحها القدرة على استخدام الصيغ الثورية والمضي بها وطنيا ودوليا ٠ واذا ما حصلت الردة في الهند ، فانها ستكون تحت شعار « الدفاع عن الديمقراطية » ، لأن انديرا غاندي قد خرقت هذا المبدأ ، أي « الديمقراطية الليبرالية » ، الذي يقوم عليه

نظامها والذي جاءت هي الى الحكم من خلاله ، فما دامت هي قد خرقته دون ان توفر الركيزة والبديل اللذين تعتمد عليهما ، فانها قد اصبحت الان ، والى وقت قادم ، كالذي يتمنطق بحزام عتاده من نوع ، ويحمل بندقية من نوع آخر . هذا هو تحليلنا لوضع الهند ، ولابد هنا من الأخذ بعين الاعتبار ايضا مشاكل الهند الاخرى الكثيرة المعروفة .

بعض الناس قالوا ان انديرا غاندي اتخذت اجراءات جيدة ، ولكن فاتهم ان يدركوا ان الاعماق انما تبدأ من الشاطيء . لقد كان بامكان انديرا غاندي أن تصل الاعماق بدءاً بالشاطيء ، أي كان عليها منذ البدء ان تكون حزبا ثوريا ، وان تبني جهازا ثوريا ، وتتبنى صيغا ثورية وتستخدمها تدريجيا ، وبذلك ، تصبح الأجراءات التي تتخذها الان عملا طبيعيا

متسجما مع الأصل ، وعندما يكون ظهرها محميا وغير مخلى ٠ ان اغلب الصيغ التي تستخدمها انديرا غاندي الان لم يصنعها الايمان المتصل بمبادىء العمل الثوري ابتداء ، وانما صنعتها الحاجة الانية ، لذلك فليس متوقعا لها ان تخرج بنتائج كالتي تفرزها الصيغ التي يصنعها الايمان المتصل بمبادىء العمل الثوري ابتداء ، لا الحاجة المجردة عن الايمان ، أو المعزولة عنه أو المرتبطة به ارتباطا واهيا ٠ ان مثل هذه الصيغ ، التي تصنعها الحاجة المجردة الآنية ، قد تخرج بنتائج جيدة ، ولكن ليس متوقعا ، لهذه النتائج ان تستمر على سياق واحد ، وتصنع مستقبلا وطيدا للشعب والوطن ، مختلفا نوعيا بصيغة الطفرة عن الظروف السابقة ٠ لذلك فان الكثيرين من قادة الانقلابات الوطنية والكثيرين من الحكام في العالم الثالث ، يستعيرون

ـ بسبب الحاجة المستندة اساسا الى المحافظة على سلطتهم ، أو لأسباب لا تتصل بتصورات عميقة وستراتيجية بالعمل الثوري ـ صيغا من العمل الثوري لمواجهة حالة طارئة ، وبشكل مقطوع عن التصور المركزي المتصل بمبادىء هذا العمل ·· ثم نجدهم يتراجعون عن تلك الصيغ بعد فترة حين تنتفي الحاجة اليها ·

ان النظام الثوري يبدأ بالشاطيء وصولا الى الاعماق ، أما الانظمة التي هي من النوع الآخر فان بدت وكأنها في الاعماق ، في مرحلة ما ، فانها بعد حين تعود مرتدة الى الشاطيء ، ويكون اتجاهها عكسيا ومتناسبا مع تناقص الحاجة الى استخدام صيغ العمل الثوري لمواجهة حالة طارئة ، تهدد كرسي الحاكم ، او ترتبط بنوازع وطنية مقطوعة عن التصور المركزي المبدئي ، المبني على حب الجماهير ، والايمان

بدورها التاريخي في التغيير ، والقائم على اسس ثورية موضوعية في بناء الدولة • كذلك فان الانظمة الثورية ، اذا ما استعارت صيغ الانظمة الليبرالية في مواجهة حالة اختناق او ازمة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية فانها تسقط ، لانها بذلك انما تكون قد غادرت مواقعها التي تمكنها من المجابهة من خلال الترابط بين الاجراء بمتطلباته ، وبين منطلقاتها النابعة من أصول النظام وبنيتيه التحتية والفوقية • ولانها بمثل تلك الصيغ لا تستطيع أن تلهب حماس الجماهير لتكون سياجا حديديا من حولها • وهي اذا ما فعلت ذلك فانها توفر فرصا كبيرة لاتجاهات الردة ، نظرا لان قوة الردة اختصاصية في استثمار الاساليب الليبرالية •

ان هذه التجارب التي نتحدث عنها تثير لدينا ، في الوقت نفسه ، الاهتمام بمسالة المرونة في العمل الثوري •

فكما ان الانظمة التي تقوم على اساس ليبرالي يمكن ان تخطىء بتعاملها مع الاساليب الثورية لمواجهة حالة معينة .. فان الانظمة الثورية قد تخطىء ايضا عند تعاملها مع المرونة في مواجهة حالات معينة .

فما هي نظرتنا الى هذه المسألة ؟

ان المرونة في العمل الثورى شيء مطلوب وضروري ، على ان تكون المرونة بصيغة تتصل بظروف الهدف الثورى المطلوب تحقيقه ، وبالواقع الذي تعيشه الحركة الثورية باتجاه اهدافها ، وتنبع من مباديء العمل الثوري ، وليس بمعزل عنها .

والمرونة ، بالمعنى الثوري ، لا تعني استعارة الصيغ الليبرالية ، لان هناك فرقا بين المرونة بالمفهوم الثوري ، وبين المرونة كنهج ثابت وكجزء من المنهج الليبرالي . فالحركة الثورية

تستخدم المرونـــة في الوقت المناســب وبالقدر المناسب ، وبالاتجاه الذي يحقق لها نتائج حاسمة على طريق الهدف ، بينما تستخدم المرونة ، في احيان اخرى ، بعقلية ليبرالية وليس بعقلية ثورية ، والمعيار بين الحالتين ، هو ان المرونة ، بالمفهوم الثوري ، هي نهج مؤقت مرتبط بحالة مؤقتة ، اى انها ترتبط بظروف ووقائع مادية ، ولابد من مغادرتها عندما تتغير تلك الظروف والوقائع المؤقتة التي استدعت وجودها ، لتعود الثورة او الحركة الثورية الى نهجها الاصيل .

اما المرونة بالمفهوم الليبرالي فانها تقود دائما الى التراجعات ، لان هذا المفهوم لايعتبرها حالة مؤقتة باتجاه تحقيق وثبة الى امام ، وانما يحولها الى حالة شبه دائمة .

ان المرونة حين تبدو ضرورة من ضرورات العمل الثورى ، فانها يجب ان ترتبط اساسا

بالتصور المبدئي وبمصالح الجماهير ، وتكون خطوة على طريق حسم الظروف باتجاه الهدف الستراتيجي ، وليس مبررا للارتداد عنه ، اى ان المحصلة التي تخرج بها الحركة الثورية من المرونة يجب ان تكون تقدما وليس ارتدادا ٠

والثورى يجب ان « لا يستلطف » المرونة «استلطافا» شخصيا ، فيظل متلذذا بها حين تحقق له اغراضا خاصة ، فيبقي عليها ويتمسك بها ، ويطيل المكوث في مواقعه الجديدة ، وانما يجب ان يحدد المرحلة والحالة اللتين تستخدم فيهما المرونة ، وحين تنتهي مكونات هذه المرحلة او الحالة ، سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، مادية أو نفسية ، فان عليه ان يتجاوزها ، لانها ليست اسلوبه الدائم ٠٠ فالاسلوب الدائم للثورى في النضال هو الاقتحام والتعرض ، والمرونة انما هي صيغة متفرعة

من الاساس ، تستخدم وفق الحالات التي اشرنا اليها ، وعلى الثوري ان لا يتوهم ، فيستبدل الاساس بالفرع · ان المرونـــة ليست هدفا ، وانما هي وسيلة باتجـــاه الهدف · ان حالة الاستلطاف الشخصي ، والاعتبارات الشخصية يجب ان لا تدخل في حساب المرونة · فلا يجوز التذرع ، للابقاء على المرونة بعد انتهاءمبرراتها ووجوب تجاوزها بأى سبب شخصي ·

اننا نخشى استلطاف الثوري للمرونة ، لان الاستلطاف يقود الى الاسترخاء ، وفي احيـــان كثيرة يكون استرخاء المناضل أكثر من غيره ، بسبب الحاجة المرتبطة بزمن ماض ـ يقـــول المثـــل الشعبي ان لدى فـــلان « جوع عتيق » ، ومثل هذا الجائع عندما يقع على شىء يأكله ، لا يأكل بقدر حاجته ، وانما يحاول أن يأكل بقدر ما فاته ! وعند ذاك يتخم وتثقل حركته ويغدو

صيدا سمينا · ان احدى وسائل الصيد هي ان تهيء للفريسة فرص الوصول الى الماء ، بعد ان تكون قد عطشت عطشا شديدا ، فما ان ترتوي كثيرا حتى تسقط بوسائل الصيد ، لانها تكون غير قادرة على الجري بسرعة ·

ان من الاخطار التي تواجهها الانظمة الثورية ايضا ، سمنتها ، اى كمية « الشحم » المضاف الذي يعرقل حركة الوثوب لديها ، والشحم المضاف هنا هو التخلي عن اساليب أو أهداف العمل الثوري ، والابتعاد عن الجماهير والانغماس في ملذات الحياة ، وهذا ما يجب ان ننتبه اليه دائما · فعلينا ان نراقب دائما مقدار السمنة التي تكونت لدى الثوريين والحركة الثورية ، ومقدار ما يجب ان يزاح عنها ·

ومن الظواهر المعروفة ان الثوريين عندما

يتخلون عن المبادىء الثورية والعمل الثورى يصبحون تجارا ، بل من ابرع التجار غير الشرفاء ، أى من أتعس الوسطاء المبتزين . وعندنا امثلة وشواهد في القطر العراقي ، وفي الوطن العربي على ما نقول ، ويمكن ان نسمي اناسا كانوا ثوريين اصبحوا بارعين في السمسرة والوساطة التجاريتين ، لانهم لا يريدون ان يوفروا حاجتهم الان فقط ، وانما يريدون توفير ما فاتهم وبوسائل منحرفة ، ولذلك فان تصرفاتهم تأخذ طابعا مخيفا من الشراهة والحطة . والثورى كالجندى اثناء التدريب الاجمالي في الجيش ، يجب ان لا يعطى الا فترة « استراحة » قصيرة ، لانه اذا جلس فترة طويلة « يحل عليه التعب » ، كما يقول المثل الشعبي ، فلا يعود قادرا على النهوض . وقد يحدث الاستلطاف عند الشعب للمرونة ،

كما يمكن ان يحدث لدى قواعد الحزب ، اذا لم تكن مبررات المرونة وظروفها واضحة امامها ، واذا لم تكن نتائج الخلل بينة لديها في حالة اطالة مرحلتها ٠

ومن المخاطر الاخرى التى تتعرض لها الانظمة والاحزاب والحركات الثورية في بلدان العالم الثالث ، ان المرونة احيانا لا تستخدم بقدر الحاجة اليها وفي الزمن المناسب ٠ وعندما تثور الاعتراضات على المرونة وعلى نتائجها ، يأخذ رد الذين يمارسونها طابعا تبريريا احيانا ، ويلجأون الى توسيع دائرة ممارستها على نطاق واسع من قبل قواعد الحزب الثورى والجماهير ، وهذا يؤدى الى اضعاف الحصانة المبدئية للحركة الثورية ٠ ان قواعد الحزب والجماهير ، عندما تمارس المرونة والمناورة بأطار تبريري وانتهازي ٠، فأن ذلك يؤدي الى

عزلتها عن اصولها · وهذا مسلك يجب الحذر الشديد منه · ان المناورة السياسية المشروعة ، اى استخدام المرونة في العمل الثورى يجب ان لا تمارس من قبل قواعد الحزب ، او حتى من قبل القيادات الدنيا والوسطية ، انها من مهام القيادات العليا وحدها ، وقد يترك امر ممارستها الى جهة او جهات معينة في الحزب الثورى بشكل محدد · اما ترابط الصلة بين المرونة وبين المبادىء فيجب ان يكون واضحا لدى الحزب الثوري باستمرار ، لكي لا يصاب بالانحراف · وبالنسبة لنا في هذا القطر ، ولكي لا نجعل المواطن يستلطف المرونة ، وبخاصة في مواجهة قضايا النضال القومي ، علينا ان نقوي الاتجاه القومي والشعور القومي لدى المواطن ، بالاضافة الى تعميق ثوريته ·

لو كنا « عراقيين » فقط لبقينا نستخدم

المرونة في تعاملنا مع القضايا المحيطة بقطرنا بحجم ما ، وبمقدار ما ، لفترة طويلة من الزمن. ولكن كون العراق قاعدة متحررة للامة العربية ولحركتها الثورية ، وليس نظاما اقليميا ، يحتم علينا دائما ان نستخدم المرونة في الميدان القومي بالقدر المحسوب ، ونغادرها في الوقت المناسب.

فعندما تكون على سبيل المثال علاقتنا طبيعية ، أو جيدة مع نظام عربي ما ، مختلف عن نظامنا في مرتكزاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية الان فهذا امر طبيعي ، ولكن من أين يبدأ الخطأ والانحراف ؟. يبدأ الخطأ والانحراف حينما نضغط او نطلب من الحركة الشعبية في ذلك القطر مثلا ، ان تهادن ذلك النظام وتتعاون معه ، او تسكت عن نقد او فضح سياسته الخاطئة أو المنحرفة. كما يكون الخطأ والانحراف ايضا عندما تستمر مثل هذه العلاقة

بيننا وبين ذلك النظام على الاسس التي ابتدأت بها ودونما تغيير ٠

ان اسس المرونة يجب ان تتطور ، وكذلك اتجاهاتها حسب تطور امكاناتنا الذاتيةوظروف النضال القومى وواقع حال الجهة او الحالة المعنية بالمرونة في الطرف الآخر ٠ ان المرونة يجب ان تتطور ، باتجاهها وحجمها واسسها ، مع الوقائع التى اشرنا اليها ٠ فاذا لم تتطور تكون نتائجها خطيرة ، لانها تأخذ طابع السكوت والسكون والتبرير ، والسكوت والسكون والتبرير بالنسبة للنظام الثوري خطر ، لان التسرب عند ذاك يكون باتجاه مضاد ، اى ان النضح سيتم من سياجه الخارجي الى داخله ، حاملا الافكار المخالفة لصيغ النظام الثورى ومرتكزاته الاساسية ، بدلا من ان يكون «النضح» عبر سياجه الخارجي ، وباتجاه الانظمة

الاخرى ، او الاوساط المعنية بالمرونة ، بقصد التأثير الايجابي فيها لصالح الحركة الثورية .

ان اهم مركز يجب ان يبقى محصنا ، يؤثر ولا يتأثر ، هو الحزب ، لانه هو « كرة الحديد الفولاذية » التى نستطيع ان نضرب بها باب وشباك الخصوم والاعداء في الوقت المناسب . ان ثقة الشعب بالحزب ، وثقته بالتخطيط السياسي ، وبالحصانة المبدئية للثوريين تمكنهم من استخدام المرونة استخداما صحيحا ، وعلى العكس من ذلك فان عدم ثقة الشعب تدفع اما الى التوسع في استخدام المرونة فتكون الردة ، او الى عدم استخدامها عندما يتطلب الامر ذلك فيكون الانعزال ، وتفوت الحركة الثورية فرصا مشروعة . لابد اذن من ضبط الموازنة بايجاد الصلة الصحيحة في الثقة بين النظام وبين الشعب ، وبين استخدام المرونة

في الحجم وفي التوقيت وفي الاتجـاه المطلوب ٠
وبغير ذلك ، ولـكي تثبت الحـركة الثوريـة
ثوريتها ،اما أن تغادر المرونة قبل ان تجني نتائجها،
او انها لا تستخدمها على طريق العمل الثورى
فتخسر ، وقد تلجأ في مجال الرد على صيـغ
الانعزال الى التوسع في المرونة فتصبح طريقا
للردة ، وتكون سببا مهما في السقوط وكلتـا
الحالتين خطأ جسيم ٠ ان ثقـة الحزب بقيادته
وثقة الشعب بالحزب وبالقيادة تجعلك تستخدم
المرونة في وقتها المناسب وبالقـدر المطلوب
وللهدف المطلوب ، وتجعلك تغادرها في الوقت
المناسب ٠

هذه هي المرونة في العمل الثورى ، وهى
من ادق المسائل المتصلة بمبادىء العمل الثورى
وبسياساته ، والتي تواجه الحركات الثورية في
العالم ، وفي بلدان العالم الثالث بشكل خاص ،

حيث ان لها خصوصية مهمة وحاسمة على طريق مستقبل الانظمة الثورية ، لان المرونة في بلدان العالم الثالث لا تصنعها القدرات الذاتية وحدها ، ولا ترتبط بالظروف المادية المباشرة للبلد المعنى فحسب ، وانما ترتبط بمجموعة عوامل منها الجانب السايكولوجي للشعب ، في فترة ما ، اذ عندما يريد كل الشعب بشكل حاسم مرونة ما فيجب ان يستخدم قدر منها ، لكي تبقى المبادرة بيد القيادة الثورية ، وان عملا من هذا النوع لا يسمى تراجعا ولا يسمى انسياقا وراء آراء غير مشروعة ، وانما هو حسابات مشروعة لوضع نفسي يجب ان يدخل بالحسبان . فاذا لم يستخدم القائد او الثورة المرونة في الوقت المناسب ، فان قوى الردة هي التي ستستخدمها وبأتجاه مضاد ، سواء عن طريق قواها التقليدية ، أو عن طريق اليمين داخل

الحركة الثورية نفسها · وحينما يكون الوضع النفسي كله والظروف الدولية كلها ، والوضع في المنطقة يشير في مرحلة معينة الى ان اسلوب المجابهة بين نظام ثوري ، وبين اوساط وانظمة غير ثورية اصبح مرفوضا نفسيا من قبل الشعب ، فيجب على القيادة ان تستخدم قدرا من المرونة مع تلك الاوساط والانظمة ، أو مع بعضها لتجتاز بها ومن خلالها مرحلة معينة ·

ان الانتصارات التي حدثت في قطرنا كبيرة ، ولم يصنعها الطريق التقليدي ، كما لم يصنعها الاسلوب المألوف للثورات الوطنية والديمقراطية في بلدان العالم الثالث ، وانما صنعها طريق آخر استثنائي في الحساب ، وفي القرار ، وفي التعامل ، وحتى في صيغ العمل الادارى ·

ان النظام الذى يقوده حزب ثورى

كحزبنا ، انما يستنبط من تجربته صيغا غير تقليدية ، واذا ما واجه حالة ما يعجز فيها ، مؤقتا ، عن ايجاد الصيغة الخاصة لمواجهة حالة او ظروف مستجدة ، فعليه ان لا يخطيء ابدا بمغادرة الصيغ « الاستثنائية » التي حقق بها الانتصارات ، ويتجه الى طريق تقليدي • لانه ان فعل ذلك تبدأ الثورة بالارتداد ، والارتداد يسحق الانتصارات مهما كانت كبيرة وعميقة ، اذ بمجرد ان تبدأ عملية الانسحاق النفسي ، أى حصول الانفصام بين النتائج المادية لحركة النظام اليومية وبين روح الشعب وتطلعاته ، فان الردة تحدث • وبمعنى آخر فان الردة لكي تحدث يجب ان يتحقق هذا الجانب ، أى الانفصام النفسي بين نتائج النظام التي يفرزها يوميا ، وبين صلة هذه النتائج بروح الشعب واهدافه وحماسته في الدفاع عنها •• ان ما يجري في

الهند وما جرى في بنغلاديش يعنينا . ولكنه لا يرهبنا .. لا تصغوا لما يقوله البعض بان ما حدث في بنغلاديش يتطلب منا « الحذر » . فليقل لنا هؤلاء : كيف حدث ما حدث في بنغلاديش ؟ فليحللوا الحالة بشكل صحيح !! ، ان الذى حدث في بنغلاديش لن يحدث عندنا لاننا متمنطقون بعتادنا المصمم لبنادقنا .

انهم يريدون تخويفكم ، الرجعية ستعمل على تخويفكم من جهة ، وستفعل ذلك بعض الاوساط التقدمية من جهة اخرى ، الرجعية ستقول أرأيتم هذا هو مصير اصدقاء السوفييت وهذا هو مصير من يغالى بالوطنية .. وهذه هي نهاية الاشتراكيين .

وبعض التقدميين من جهة اخرى سيخيفونكم ويقولون لكم بأن هؤلاء سقطوا لانهم تشبثوا بالاستقلال ، ولم يذهبوا مع السوفييت كما اراد

السوفييت ، وها هم قد انتهوا ، والى غير هذا الكلام ! اننا بالطبع لن نخاف ، لاننا نعرف طريقنا ، ولاننا واثقون من صوابه .

هذا هو تحليلنا ، وهذا هو طريقنا ، وهو الطريق الـذى يجنبنا الاخفاقات والنكسـات ويصنع لنا الانتصارات الدائمة ، فمـا دمنا نتمنطق بعتاد بندقيتنا ، فاننا لا نخشى خطرا ، وان كنا في وسط غابة مليئة بالوحوش المفترسة ، فالذى سيأتينا سيجد ان لدينـا وسائلنا التي نقاومه بها ، اما الذى يحمل بندقية من نوع ويتمنطق بحزام عتاد لبندقية اخرى ويدخـل الغابة ، فمن الطبيعي ان تخيفه ، بل تفترسه حتى بنات آوى .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٣ لسنة ١٩٨٠